المسؤولية المجتمعية .. بين الواقع والمأمول

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 23 ديسمبر 2018

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

زهرة العوفية سيدة من سلطنة عمان الشقيقة امرأة لا أعرفها ولم ألتقها ولم أعرفها يومًا، ولكن أحد الإخوة من السلطنة أرسل لي شريط فيديو عن استلامها جائزة السلطان قابوس للعمل التطوعي لعام 2017 ويرافق الشريط شرح مبسط لمبادرتها المجتمعية التي أطلقت عليها اسم (محو أمية أبناء قريتي مسؤوليتي). ترى ماذا فعلت هذه السيدة حتى تستحق مثل هذه الجائزة ؟

السيدة زهرة ببساطة قامت من تلقاء ذاتها بعمل يخدم المجتمع الذي تعيش فيه، فقامت بتعليم أبناء قريتها القرآن الكريم والكتابة والقراءة. وبدأت مشروعها من خلال طبخ الطعام وبيعه لأهل القرية وبعض المطاعم الموجودة في القرية والقرى المحاذية والمدارس وبعض المنشآت الأخرى، ومن ريع هذا الطعام قامت بتوفير البيئة المناسبة لتعليم الأطفال ممن تتراوح أعمارهم بين 5 و10 سنوات وتحفيظهم القرآن الكريم في منزلها الخاص، وبعد مضي 4 سنوات من بداية المشروع توسع المشروع ليشمل أبناء القرى البعيدة عن مركز الولاية، حيث تم افتتاح 12 فرعًا وشمل كذلك

تعليم الأطفال لسن ما قبل المدرسة، ووصل عدد الفروع في نهاية 2017 إلى 22 فرعًا.

لماذا قامت هذه السيدة بالعمل على هذه الفكرة ؟ ولماذا ألزمت نفسها بهذا العبء ؟ ألم يكن من الأجدى لها أن تجلس وترتاح في منزلها، وتأخذ كل تلك المبالغ التي تجنيها من بيع الطعام لنفسها ؟

إنها ببساطة شعرت بمسؤوليتها تجاه المجتمع الذي تعيش فيه، فقدمت للمجتمع ما يمكنها تقديمه من غير أن تنتظر من أحد تكريما أو رعاية.

ترى ماذا يمكن أن يحدث لمجتمعاتنا لو اقتطع كل منا بعضًا أو جزءًا من مجهوده لخدمة هذا المجتمع الذي نعيش فيه ؟ وخدمة أهالي المنطقة ؟ حتى لو بأمر بسيط، إذ إننا لو استشعرنا في أنفسنا تلك الرغبة في العطاء فإننا حتما سننهض بالمجتمع.

في الحقيقة، إنها ليست مجرد رغبة أو مجرد نزوة، بل هي في الإسلام عبادة وعقيدة وواجب ديني وفضيلة إسلامية سبق الإسلام بها الأفكار والنُظم المعاصرة، وواجب المسلمين أداء هذه المسؤولية استجابة لأمر اللّه عز وجل ولأمر رسوله صلى اللّه عليه وسلم قبل أن يكون تقليدًا أو تنفيذًا لاتفاق عالمي أو دعوات من نظم مستوردة. فمبادئ المسؤولية الاجتماعية متأصلة في الإسلام من خلال آيات قرآنية وأحاديث شريفة وقواعد فقهية، وليست مستحدثة كما في الأنظمة الوضعية. ليس ذلك فحسب

بل إن أداء المسؤولية المجتمعية واجب على المسلم لصحة العقيدة، ولا يهدف المسلم من ورائها إلى أي مكسب مادي، بل إن رضا اللّه غايته الأولى والأخيرة، قال اللّه تعالى في سورة المائدة في الآية 2 (وَتَعَاوَنُواْ على الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ على الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ).

فما المسؤولية المجتمعية ؟ وكيف يمكن تنفيذها في مجتمعنا ؟

ببساطة، المسؤولية المجتمعية هي الالتزام الأخلاقي بين المؤسسات التي تعمل في المجتمع سواء كانت مؤسسات حكومية أو خاصة أو حتى أهلية، وكذلك الأفراد والمجتمع الذين ينتمون إليه، بهدف القيام بالأنشطة التي تسهم في تنمية المجتمع وتطويره بطريقة أو بأخرى، إلا أنه يجب أن يكون معلومًا أن هذه الأنشطة التي نتحدث عنها لا تقتصر على الواجبات الاعتيادية والمبادئ الأخلاقية المألوفة للمؤسسة فحسب، بل تتعداها إلى تقديم الخدمات التي تعود بالنفع على جميع الأطراف المعنية في المجتمع.

وهذه الإسهامات أو الأنشطة يجب أن تكون إيجابية وتحقق حالة من التوازن بين مختلف الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، على ألا يكون في ذلك خرق للأنظمة والقوانين أو الأعراف المتعارف عليها في الدولة أو المجتمع نفسه.

دعونا نضرب بعض الأمثلة، لو كنا نتحدث عن مصانع لإنتاج الألمنيوم – مثلاً – فماذا يمكنها أن تقدم للمجتمع ؟

يمكنها ببساطة أن تتفق مع بعض المصانع الشبيهة أو بعض المصانع التي تكملها على احتضان طلبة المرحلة الابتدائية أو الإعدادية في الإجازة الصيفية وإعطائهم بعض الدورات التدريبية المبسطة في صناعة الألمنيوم أو بعض الصناعات الأخرى، سواء في نفس المصنع أو إنشاء – بالتعاون مع بعض الجهات الأخرى – مركز لتنمية وتدريب هؤلاء الطلبة، وهذا المركز يمكن أن يخدم المئات من الطلبة في الإجازة الصيفية بدلاً من الملل والفراغ الذي يعيشونه.

مصانع لإنتاج الزجاج النسيجي – مثلاً – يمكنهم عمل حاويات لجمع القمامة وتوزيعها في جميع المحافظات والأمكنة، وذلك بالاتفاق مع الجهات المعنية.

مجموعة من المؤسسات والشركات تتكفل بمصروفات عرس جماعي، وتسهم بعض الفنادق والمؤسسات الغذائية في تقديم الوجبات المجانية أثناء العرس.

بعض المؤسسات تقوم باحتضان طلبة المرحلة الثانوية والجامعية بتدريبهم على تنمية مهاراتهم وهواياتهم سواء بالأعمال المهنية مثل

النجارة وورش العمل أو حتى الفكرية كالكتابة والتأليف أو غيرها من أجل الانخراط في سوق العمل بدلاً من انتظار وظيفة.

ما طرحناه هنا بعض الأمثلة البسيطة فقط وهناك العديد من الأفكار والأطروحات – بحسب ما ورد في العديد من الدراسات والكتب – التي يمكن التفكير فيها والعمل عليها، فمثلاً يمكن العمل من خلال:

أولاً: الجوانب التعليمية والتربوية:

1. **إنشاء بعض مباني مدارس التعليم العام والكليات الأهلية غير الربحية والتي تعمل على تعليم الطلاب والطالبات في التخصصات التي يحتاج إليها الوطن.**

2. **إنشاء معاهد تدريبية متخصصة لتعليم الحاسوب للحصول على الرخصة الدولية واللغة الإنجليزية من دون مقابل أو حتى بمبلغ رمزي، وتدريب الطلاب في فترة الصيف على مهارات حياتية مهمة يحتاجون إليها مثل مهارة البيع والشراء ومهارة تعلم إصلاح الكهرباء والسيارات.**

3. **دعم الطلاب المتفوقين من خلال برامج تدريبية، فالكثير من الطلاب المتفوقين بحاجة إلى دعم ومساندة من خلال رعاية تفوقهم ورعاية المبتكرات والاختراعات المميزة لطلابنا وطالباتنا.**

4. **ابتعاث الطلاب والطالبات للدراسة في الخارج على حساب المؤسسة وخاصة في التخصصات العلمية وإنشاء كراسي البحث العلمي في الجامعات ودعمها لتحقيق أهدافها البحثية والتعليمية.**

5. **دعم برامج الإعاقة وذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس والجامعات وتوفير جميع ما يحتاج إليه الطالب لتطوير قدراته العلمية.**

6. **تشجيع البحث العلمي من خلال رصد ميزانيات سنوية في مجال التعليم لتطويره وإيجاد برامج تدريبية تنتهي بتوظيف الطلاب والطالبات بعد تخرجهم، وهذا سوف يسهم في التحاق الكثير منهم ببرامج التدريب ودعم المشروعات الصغيرة لتشجيع الخريجين والخريجات للنجاح والإسهام في تطوير أعمالهم ودخول عالم القطاع الخاص.**

ثانيًا: الجوانب الاجتماعية:

1. **تخصيص نسبة من الأرباح لدعم المؤسسات الخيرية ودعم مؤسسات العمل الخيري لتأدية أعمالها ودعم البحوث الاجتماعية التي تعمل على دراسة المشكلات الاجتماعية والأسرية.**

2. **إنشاء مراكز لكبار السن، وخاصة لمن ليس لديهم أسر ترعاهم بحيث تعمل هذه المراكز على توفير جميع احتياجاتهم الخاصة. وإنشاء أندية اجتماعية في الأحياء لممارسة هواياتهم الخاصة مع أبنائهم وبناتهم بحيث تحافظ على الخصوصية للأسرة، وهذه لها أبعاد اجتماعية لسكان**

الحي وأبعاد نفسية عند ممارسة الآباء والأمهات اهتماماتهم الرياضية مع أبنائهم، كما أن هذه الأندية تقدم مجموعة من المهارات الاجتماعية للأسرة وخاصة في ظل عدم مقدرة المدرسة على تقديم هذه الخدمات للطلاب والطالبات.

3. **إنشاء مراكز خاصة للأيتام والمعنفين وتوفير احتياجاتهم اليومية وتوفير المشرفات الاجتماعيات ومراكز للعب والترفيه، وبناء منازل للأرامل والمطلقات مناسبة المساحة والخدمات بحيث يشعر جميع أفراد المجتمع بأنهم أسرة واحدة.**

4. **إنشاء مراكز لمكافحة التدخين، ومكافحة المخدرات، ومكافحة السكر والخمر من خلال وجود العيادات المتخصصة للعلاج وتقديم البرامج التي تساهم في الوقاية من التدخين وإنشاء مراكز للعلاج من الإدمان طويلة المدى ورعاية المدمن حتى بعد شفائه.**

5. **إنشاء قاعات للأفراح تكون شبه مجانية لمساعدة الراغبين في الزواج.**

6. **إيجاد فرص عمل للمواطنين والمواطنات في القطاع الخاص.**

ثالثًا: الجوانب الثقافية:

1. **إنشاء مراكز ثقافية تهتم بنشر الثقافة مثل إنشاء المكتبات العامة والمراكز الثقافية التي تنظم الندوات الأدبية والعلمية ورعاية وتنظيم المؤتمرات التي تقام في الدولة.**

2. **إنشاء صالة مسرح لتقديم العروض المسرحية وإقامة الاحتفالات الجادة وتقديم الأفكار الإبداعية.**

3. **دعم أو إنشاء الجوائز الوطنية والعلمية الخاصة بالمثقفين الذين قدموا خدمات للوطن.**

4. **دعم البرامج التي تهتم بالتراث وبالجوانب الثقافية والعلمية والإبداعية من خلال تشجيع المجتمع على السير في هذا الاتجاه.**

رابعًا: الجوانب الصحية:

1. **بناء المستشفيات والمستوصفات والمشاركة في الحملات الصحية ورعاية المؤتمرات الطبية وإنشاء الكليات الصحية المتخصصة.**

2. **بناء المراكز الصحية المتخصصة لعلاج بعض الأمراض العصرية، مثل: مراكز الأورام، ومراكز الغذاء والتغذية، ومراكز غسيل الكلى، ومراكز القلب وما إلى ذلك.**

3. **بناء مراكز للعلاج الطبيعي، وخاصة لكبار السن.**

4. **بناء مراكز للإقامة الطويلة وخاصة للأفراد الذين لا يرجى شفاؤهم والذين يعيشون في غيبوبة طويلة ولا يرجى الاستيقاظ من تلك الغيبوبة، مع توفير الرعاية الكاملة لهم.**

والآن لنعد التفكير ولنتخيل أنه لو قامت كل مجموعة من المؤسسات الخاصة بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الحكومية بتبني مشروع واحد من تلك المشاريع، مشروع واحد فقط ليس أكثر، فماذا يمكن أن يحدث في مجتمعنا ؟

فهل عندئذ ستتحقق العدالة الاجتماعية في مجتمعاتنا، وتتحول مجتمعاتنا إلى مجتمعات مستدامة ؟

في الحقيقة لا أعرف.